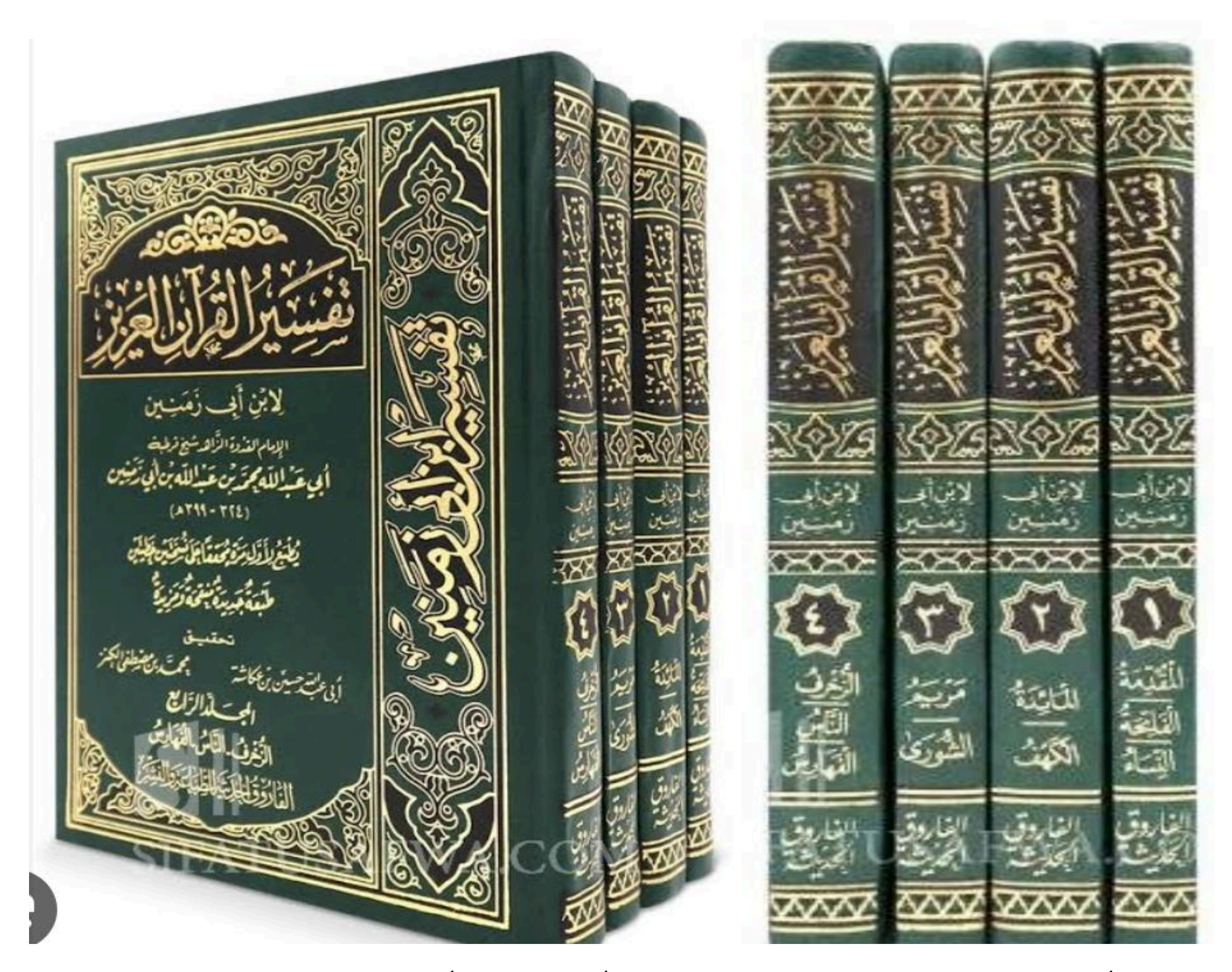


تفسير ابن أبي زمنين هو كتاب من كتب تفسير القران الكريم، ألفه الحافظ ابن أبي زمنين (وزمنين بفتح الميم ، ثم كسر النون) (324 هـ-399 هـ)، يعتبر تفسير ابن أبي زمنين تفسير مختصر، اختصر فيه مؤلفه كتاب يحيى بن سلام في تفسير القرآن، فحذف منه التكرار وبعض الزوائد التي يقوم علم التفسير بدونها مما يسهل فهم الكتاب على الدارسين، كذلك أضاف ابن أبي زمنين بعض الزيادات الضرورية من غير كتاب تفسير يحيى بن سلام واتبع ذلك بكثره في الاعراب واللغة.

نبذة عن المؤلف

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زَمَنِين (324 هـ - 399 هـ) فقيه مالكي، ومحدث ومفسر أندلسي.

ولد أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري المعروف بابن أبي زمنين عام 324 هـ في إلبيرة، رحل إلى قرطبة وسكنها مدة، ثم انتقل إلى إلبيرة بعد عام 395 هـ، وسكنها إلى أن توفي.

قال عنه أبو عمرو الداني: «كان ذا حفظ للمسائل، حسن التصنيف للفقه، وله كتب كثيرة ألفها في الوثائق والزهد والمواعظ منها شيء كثير، وذو حظ وافر من علم». وقال عنه: « لقيته بقرطبة سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مائة، وأجاز لي جميع روايته وتواليفه، وكان ذا نية حسنة، وعلى هدى السلف الصالح. وكان إذا سمع القرآن وقرئ عليه ابتدرت دموعه على خديه». وقال عنه الحميدي: «فقيه مقدم، وزاهد متبتل، له تواليف متداولة في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين، على طريقة كتب ابن أبي

الدنيا وأشعار كثيرة في نحو ذلك ». وقال الخولاني: «كان رجلاً زاهداً صالحاً من أهل الحفظ والعلم، آخذاً في المسائل، قائماً بها، متقشفاً واعظاً له أشعار حسان في الزهد والحكم، له رواية واسعة. وكان حسن التأليف، مليح التصنيف، مفيد الكتب في كل فن، ككتابه «المغرب» في اختصار المدونة وشرح مشكلها، والتفقه في نكت منها ليس في مختصراتها مثله باتفاق».

ولابن أبي زمنين العديد من الكتب منها «كتاب منتخب الأحكام» و«تفسير القرآن» و«حياة القلوب» و«النصائح المنظومة» و«المهذب في اختصار شرح ابن مزين للموطأ». وكتاب «الوثائق» و«مختصر تفسير ابن سلام» وكتاب «أدب الإسلام» و«رياض الجنة بتخريج أصول السنة».
توفي ابن أبي زمنين في إلبيرة عام 399 هـ، وله من العمر خمس وسبعون سنة.

مثال لتفسير ابن أبي زمنين:
باب ما جاء في بسم الله الرحمن الرحيم : قال يحيى حدثني أبو أمية بن يعلى عن قتادة عن عبد الله بن مسعود قال كنا نكتب باسمك اللهم زمانا فلما نزلت قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتبا بسم الله الرحمن فلما نزلت إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم كتبنا بسم الله الرحمن الرحيم، وقال يحيى حدثنا الحسن بن دينار عن الحسن البصري قال لم تنزل بسم الله الرحمن الرحيم في شيء من القرآن إلا في هذه الآية إنه من سليمن ويجعله مفتاح القراءة إذا قرأ، وقال يحيى حدثني أبو الأشهب عن الحسن أنه قال هذان الأسمان من أسماء الله ممنوعان لم يستطع أحد من الخلق أن ينتحلهما الله والرحمن قال محمد قيل الجالب للباء في باسم الله معنى الابتداء كأنك قلت أبدأ باسم الله.

<u>الباحث القرآني</u>
قال المحقق:
* منهج ابن أبي زمنين في تفسيره
لقد كفانا ابن أبي زمنين مُؤنة البحث عن ملامح منهجه، حيث ذكره رحمه الله في مقدمة تفسيره، فقال:
«وبعد، فإني قرأت كتاب يحيي بن سلام في تفسير القرآن، فوجدت فيه تكرارًا كثيرًا وأحاديث ذكرها يقوم علم التفسير دونها، فطال بذلك الكتاب، وإنه للذي خُبرته من قلة نشاط أكثر الطالبين للعلوم في زماننا هذا - إلا إلى ما يخف في هذا الكتاب على الدارس، ويقرب للمقيد - نظرت فيه فاختصرت مكرره وبعض أحاديثه.
وزدت فيه من غير كتاب يحيي تفسير ما لم يفسّره يحيي، وأتبعت ذلك إعرابًا كثيرًا ولغة على ما نقل عن النحويين وأصحاب اللغة السالكين لمناهج الفقهاء في التأويل، زائدًا علي الذي ذكره يحيي من ذلك.»
وإذا قمنا بتحليل ما قاله ابن أبي زمنين وجدناه يشتمل على ثلاثة معالم رئيسية :
- أولاً: أنه ذكر سبب اختصاره لتفسير يحيي بن سلام؛ و هو أنه وجد فيه تكرارًا كثيرا وأحاديث ذكرها يقوم علم التفسير بدونها، حتى طال الكتاب بذلك التكرار، وقلة نشاط أكثر الطالبين للعلوم الذين يبحثون عما يخف ويقرب .
- ثانياً: أنه ذكر منهجه، وهو اختصار المكرر، واختصار بعض الأحاديث.

- ثالثاً: أنه أضاف زيادات تشمل على تفسير ما لم يفسره يحيي من الآيات، ووجوه الإعراب، والقراءات وما أشكل من اللغات، وأن هذه الزيادات منقولة أصلًا عن أئمة النحو واللغة. وقد مُيزت زيادات ابن أبي زمنين على تفسير يحيي بأن أولها «قال محمد»، يعني ابن أبي زمنين.

وبنظرة مدقّقة للتفسير نجد أن هناك خطوطًا بارزة كونت طريقةً خاصة لابن أبي زمنين في تفسيره؛ حيث يسير التفسير من مبتدئه إلى منتهاه على نسق واحد لا يعدوه.

فيمزج المصنف بين الآيات وتفسيرها، عن طريق تقطيع الآية إلى أجزاء يعقب كل جزء تفسيره، وقد يكون هذا الجزء المقتطع كلمة أو أكثر، حتى تخال الكلام واحدًا، وأحياناً يفصل بين الألفاظ القرآنية وتفسيرها بقوله: (يعني) أو (أي)، ويتخلل ذلك بيان أقوال المفسرين من الصحابة أو التابعين، ثم يتعرض للمعاني المعجمية، وما ورد من لغات لِلّفظ المفسَّر، مصحوبًا ببيان المفرد والجمع، أو المذكر والمؤنث.

ثم يفضّ المصنف إشكالًا نحويًا قد يقع لِلَبْسٍ أو غموض، فيقوم ببيان الوجه الإعرابي وعلاقة هذا التوجه بمعناه الدلالي المتفق وتفسير الآية.

كل ذلك مصحوبًا بوجوه القراءات القرآنية المختلفة، مع توجيه كل قراءة نحويًّا ومعجميًّا ودلاليًّا، لبيان المعنى المتفق والتفسير، وقد تكون هذه القراءات للصحابة، أو التابعين، أو تكون قراءة سبعية أو عشرية، ثم إنه لا يستطرد في بيان الوجوه النحوية أو وجوه القراءات إلا في القليل .

ويُعقب المصنف ذلك ببيان الأحاديث والآثار التى وردت بشأن هذه الآية، متضمنا ذلك الحديث عن الناسخ والمنسوخ، والمدني والمكي، وأسباب النزول، وغير ذلك من مباحث علوم القرآن.

وهو يُكثر من الإحالة على السابق خشية التكرار، كقوله عند (وأنعام حرمت ظهورها)، قال: «وهو ما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وقد مضي تفسير هذا»، وكذلك عند تفسير (فمن اضطر غير باغ ولا عاد)، قال «قد مضي تفسير (فمن اضطر غير باغ ولا عاد)».

ولعل ذلك يتفق ومنهجه الذي أخذه على نفسه منذ البدء من الاختصار وعدم التكرار والإطالة.

فالسمة العامة لهذا التفسير هي الإيجاز وسهولة العرض، وعدم الخوض في الخلافات الفرعية التي من الأحسن أن تذكر في مكان آخر؛ كما قال في تفسير الاية ١٠٢ من سورة النساء: ذكر يحيي سُنة صلاة الخوف، ونقل فيها اختلافا ؛ فاختصرت ذلك إذ له موضعه من كتب الفقه .

وقال في آخر تفسير سورة النساء: ذكر يحيى في هذه السورة مسائل من الفرائض فاختصرت كثيرًا منها؛ إذ للفرائض بأسرها مواضعها من كتب الفقه، ولا توفيق إلا بالله .

وكذلك عند ذكره للاختلافات النحوية إنما يشير إليها إشارة دون تفصيل للخلاف ومناقشة الآراء المختلفة.

وهكذا يسير هذا التفسير بيسر وسهولة مع عمق فهم وأصالة استدلال، فهو حقا تبصرة للمبتدى، وتذكرة للمنتهي في تفسير القرآن العزيز، يفتح لقارئه أبوابا من العلم بدقائق إشاراته وإيجاز عبارته ؛ لينهل بعد ذلك من مطولات كتب التفسير.

* القيمة العلمية لتفسير ابن أبي زمنين

تظهر القيمة العلمية لتفسير ابن أبي زمنين في أنه ألف في القرن الرابع الهجري ، أي: أنه قريب العهد بالقرون الثلاثة المفضلة، بقلم إمام علم سلفي العقيدة ، وصف بأنه من بقايا حملة الحجة رحمه الله.

أيضا فإن هذا التفسير اختصار لتفسير يحيى بن سلام ، الذي أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم ، وقد أثنى كثير من العلماء الأوائل على هذا التفسير - آي : تفسير يحيي بن سلام - حتي قال عنه آبو عمرو الداني في معرض كلامه عن يحيي بن سلام : سكن إفريقية دهرا ، وسمعوا منه تفسيره ، الذي ليس لأحد من المتقدمين مثله .

أما إذا تصفحنا تفسير ابن أبي زمنين لنجلو أبرز سماته التي جعلت منه قيمة علمية كبيرة، حتى ليعتبر - بحق - موسوعة كبيرة في اللغة والنحو والقراءات وأشعار العرب، هذا فضلا عن الأحاديث النبوية المرفوعة ، والآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين إلى غير ذلك مما سنوضحه في السطور التالية :

١- يشتمل التفسير على كثير من الأحاديث المرفوعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار المروية عن الصحابة والتابعين، والتي تعين بقدر كبير على فهم الآيات القرآنية، وإضاءة جوانبها، حتى ليمكن أن نعتبر هذا التفسير من التفاسير التي تنتهج طريق التفسير بالمأثور.

٢- اشتمل هذا التفسير على كثير من المباحث التي تنتمي إلى علوم القرآن.

كالناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني ، والخاص والعام، و اسباب التنزيل، والمقطوع والموصول، والتقديم والتأخير، والإضمار والحذف ؛ كل ذلك موجود في خضم هذا التفسير.

٣- به كثير من النقول المروية عن الصحابة والتابعين في شرح غريب ألفاظ القرآن الكريم ؛ كأقوال ابن عباس ، و مجاهد ، والحسن ، وسعيد بن المسيب ، وشريح ، وغيرهم .

٤- اشتمل على كثير من القراءات القرآنية لعدد كبير من الصحابة مثل : ابن عباس وعبد الله بن مسعود ، وعثمان بن عفان ، وأبي بن كعب ، وغيرهم .

٥- اشتمل على كثير من القراءات القرآنية المعزوة إلى عدد التابعين مثل : الحسن ، وقتادة، ومجاهد ، والسدي ، وغيرهم .

٦- حوى التفسير أيضا كثيرًا من القراءات السبعية وبخاصة قراءة نافع ، وأيضا القراءات العشرية ، وقراءات أهل المدينة وأهل الحجاز وأهل البصرة .

٧- اشتمل التفسير أيضا علي كثير من تعقيبات ابن أبي زمنين وشروحه لغريب القرآن، و ما أشكل من مفرداته .

٨- به توضيح لوجوه القراءات القرآنية و بيان حرف كل ، مع توجيه هذه القراءات توجيها نحويًا تارة، وتوجيها دلاليا معجميًا تارة أخرى .

٩- اشتمل على التوجيه الإعرابي لكثير من مفردات القرآن التي يُشكل إعرابها، أو يقع فيها لبس أو غموض .

١٠- حوى التفسير أيضا كثيرًا من آراء أئمة اللغة والنحو، مثل أبي عبيد القاسم بن سلام ، والخليل بن أحمد الفراهيدي ، والزجاج ، وغيرهم.

١١- ويشتمل التفسير علي كثير من وجوه تصريف الأفعال ، و بيان وجوه اشتقاقها ، كذلك الحديث عن الأصل اللغوي ، والأصل الاشتقاقي ، وكثير من القضايا النحوية ، ومسائل علمى : الأصوات ، والدلالة.

١٢- و كذالك اشتمل التفسير علي حوادث كثيرة من أبواب السيرة النبوية الشريفة.

ولقد كان أغلب تعقيبات ابن أبي زمنين وزياداته تتعلق بغريب اللغة ووجوه الإعراب والقراءات كما نص هو على ذلك فى مقدمة التفسير، بما يؤكد تفوقه في علوم العربية ، ورسوخ قدمه فيها.

بيد أن هناك كثيرًا من هذه التعقيبات التي تدل على براعة ابن أبي زمنين وسعة اطلاعه ورحابة أفقه ، أعنى تلك الإشارات اللغوية إلى الفروق بين الألفاظ التى قد يبدو معناها لغير المدقق واحدًا ، غير أن بينها فروقا وظلالا مختلفة تميز بعضها عن بعض ، وقد ألمح ابن أبي زمنين إلى ذلك كثيرًا في إشاراته المتناثرة عبر تفسيره ، والتي نسوق منها ما يلي :

١- عند تفسير قوله تعالي : (كلما خبت زدناهم سعيرا) [الاسراء : ٩٧] قال محمد: خبت النار تخبو خبوّا : إذا سكن لهبها، فإن سكن اللهب ولم يُطفأ الجمر قيل : خمدت تخمد خمودًا، وإن طفئت ولم يبق منها شيء قيل : همدت تهمد همودا .

٢- وعند تفسير قوله تعالي: (فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما) [الكهف:٩٥].

قال محمد : الردم في اللغة أكثر من السد ؛ لأن الردم ما جعل بعضه على بعض ؛ يقال : ثوب مُردّم ؛ إذا كان قد رقع رقعة فوق رقعة ، ويقال لكل ما كان مسدودًا خلقة : سُد، وما كان من عمل الناس فهو سَدّ - بالفتح. وقد قيل : إنهما لغتان بمعنى واحد : سَدّ وسُدّ - بالفتح والضم .

٣- وعند تفسير قوله تعالي : (فاتخذتموهم سخري) [المؤمنون : ١١٠] قال محمد: وتقرأ (سخريا) بالضم والكسر في معنى الاستهزاء وقد قال بعض أهل اللغة : ما كان من الاستهزاء فهو بالكسر، وما كان من جهة التسخير فهو بالضم .

٤- وعند تفسير قوله تعالى: (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا) [النور : ٦٠].

قال محمد : القواعد واحدتها (قاعد) بلا هاء، ليدل بحذف الهاء على أنه قعود الكبر، كما قالوا: امرأة حامل بلا هاء ليدل بحذفها الهاء على أنه حمل حبل، وقالوا في غير ذلك : قاعدة في بيتها ، وحاملة على ظهرها.

إلى غير ذلك من هذه الإشارات التي تجمع الأشباه والنظائر، وتنظم الشوارد والأوابد في سلك واحد.

مقدمة الكتاب

بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

صلى الله على مُحَمَّد نَبِي الرَّحْمَة، وعَلى آله وَسلم.

قَالَ أَبُو عمر: قرئَ على أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي زمنين ﷺ بقرطبة [فِي] شعْبَان سنة خمس وَتِسْعين وثلاثمائة:

الْحَمد لله الَّذِي أنزل الْكتاب على مُحَمَّد عَبده وَرَسُوله؛ ليَكُون للْعَالمين نذيرا، وَجعله دَاعيا إِلَيْهِ وسراجا منيرا؛ فَبلغ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا أرسل بِهِ، ونصح لمن أرسل إِلَيْهِ، وَكَانَ كَمَا وَصفه الله بِالْمُؤْمِنِينَ رءوفا رحِيما ﷺ تَسْلِيمًا.

وَبعد؛ فَإِنِّي قَرَأت كاب يحيى بن سَلام فِي تَفْسِير الْقُرْآن، فَوجدت فِيهِ تَكْرَارا كثيرا، وَأَحَادِيث (ذكرهَا)؛ يقوم علم التَّفْسِير دونهَا، فطال بذلك الْكتاب [وَإِنَّهُ للَّذي] خبرته من قلَّة نشاط أَكثر الطالبين للعلوم فِي زَمَاننَا هَذَا - إِلَّا إِلَى مَا يخف فِي هَذَا الْكتاب على الدارس، وَيقرب للمفيد - نظرت فِيهِ، فاختصرت فِيهِ مكرره وَبَعض أَحَادِيثه، وزدت فِيهِ من غير كتاب يحيى تَفْسِير مَا لم يفسره يحيى، وتبعت ذَلِك إعرابا كثيرا ولغة؛ على مَا نقل عَن النَّحْوِيين، وَأَصْحَاب اللُّغَة السالكين لمناهج الْفُقَهَاء فِي التَّأْوِيل؛ زَائِدا على الَّذِي ذكره يحيى من ذَلِك.

وأبتدئ بِبَعْض مَا افْتتح بِهِ يحيى كِتَابه؛ فَمن ذَلِك: أَنه قَالَ: حَدثنِي سُفْيَان الثَّوْرِيّ، عَن عبد الْأَعْلَى، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من قَالَ فِي الْقُرْآن بِغَيْر علم، فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَده من النَّار».

يَحْيَى: وَأَخْبَرَنِي صَاحِبٌ لِي، عَنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عُرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَة «أَن حُذَيْفَة بن الْيَمَان قَالَ لعُثْمَان بن عَفَّان: مَا كنت صانعا إِذا قيل: قِرَاءَة فلَان، وَقِرَاءَة فلَان؛ كَمَا صنع أهل الْكتاب فأصنعه الْآن. فَجمع عُثْمَان النَّاس على هَذَا الْمُصحف؛ وَهُوَ حرف زيد».

يحيى: وحَدثني الْحسن بْنِ [دِينَارٍ] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِين «أَن جِبْرِيل كَانَ يَأْتِي النَّبي صلى الله عليه وسلم فَيعرض عَلَيْهِ الْقُرْآن عرضة كل عَام؛ فَلَمَّا كَانَ الْعَام الَّذِي قبض فِيهِ، أَتَاهُ فَعرض عَلَيْهِ مرَّتَيْنِ».

قَالَ ابْن سِيرِين: فَكَانُوا (يرَوْنَ أَن قراءتنا هَذِه) على العرضة الْآخِرَة.

قَالَ يحيى: وحدثونا أَن السُّور لم تنزل كل سُورَة مِنْهَا جملَة، إِلَّا الْيَسِير مِنْهَا، وَلَكِن النَّبِي قد كَانَ سمى السُّور؛ فَكلما نزل من الْقُرْآن شَيْء، أَمر أَن يضعوه من السُّور فِي الْمَكَان الَّذِي يَأْمُرهُم بِهِ؛ حَتَّى تمت السُّور، وَكَانَ يَأْمر أَن يَجْعَل فِي بعض السُّور المكية من الْمدنِي، وَأَن يَجْعَل فِي بعض السُّور الْمَدِينَة من الْمَكِّيّ، وَكَانَ جِبْرِيل يَأْتِي النَّبي صلى الله عليه وسلم فَيَقُول: إِن الله يَأْمُرك أَن تجْعَل آيَة كَذَا بَين ظهراني كَذَا، وَكَذَا (بَين كَذَا وَكَذَا) من السُّورَة.

وَقد نزل الْمَكِّيّ قبل الْمدنِي وَأَن هَذَا [التَّأْلِيف الَّذِي] بَين السُّور لم ينزل على هَذَا التَّأْلِيف، وَلكنه وضع هَكَذَا، لم يَجْعَل الْمَكِّيّ من [السُّور] على حِدة؛ يتبع بعضه بَعْضًا فِي تأليف السُّور، وَلم يَجْعَل الْمدنِي من السُّور على حِدة؛ يتبع بعضه بَعْضًا فِي تأليف السُّور.

وَقد نزل بِمَكَّة بعض مَا أَمر بِهِ لما يكون بِالْمَدِينَةِ [يعْملُونَ بِهِ] إِذا قدمُوا الْمَدِينَة، وَأَن بعض الْآيَات نزلت الْآيَة مِنْهَا قبل الْآيَة، وَهِي بعْدهَا [فِي التَّأْلِيف، وَقد فسرنا هَذِه الْوُجُوه فِي موَاضعهَا من التَّفْسِير وَإِن مَا نزل بِمَكَّة، وَمَا نزل فِي طَرِيق الْمَدِينَة قبل أَن يبلغ النَّبِي الْمَدِينَة فَهُوَ من الْمَكِّيّ، وَمَا نزل على النَّبِي فِي أَسْفَاره بَعْدَمَا قدم الْمَدِينَة فَهُوَ من الْمدنِي] وَمَا كَانَ (ل ٣) وَأَكْثَره مكي.

قَالَ يحيى: وَلَا يعرف الْقُرْآن إِلَّا من عرف اثْنَتَيْ خصْلَة: الْمَكِّيّ وَالْمَدَنِي، والناسخ والمنسوخ، والتقديم وَالتَّأْخِير، والمقطوع والموصول، وَالْخَاص وَالْعَام، والإضمار والعربية.

قَالَ مُحَمَّد: وَجَمِيع مَا نقلته من كتاب يحيى أَخْبرنِي بِهِ أبي عَن أبي الْحسن عَليّ بن الْحسن، عَن أبي دَاوُد أَحْمد بن مُوسَى، عَن يحيى بن سَلام.

وَمِنْه مَا حَدثنِي بِهِ [أبي] عَن أبي الْحسن عَن يحيى بن مُحَمَّد بن يحيى ابْن سَلام عَن أَبِيه، عَن جده، وكل مَا أدخلته من طَرِيق يحيى بن مُحَمَّد فقد قلت: إِنَّه من طَرِيق (حَدِيث) يحيى بن مُحَمَّد.

وأسأل الله العون والتأييد والإرشاد والتسديد؛ لَا إِلَه إِلَّا الله هُوَ [الفعال لما يُرِيد].